

بقلم: عبد التواب يوسف
ريشة: عبد الرحمن بكر

دار زهور المعرفة والبركة



رقم الإيداع
الترقيم والفهرسة المكتبية

الموسوعة الذهبية للثورات المصرية

تأليف:
أ/ عبد التواب يوسف

رسوم واخراج فني:
عبد الرحمن بكر
اسكتشات معارك:
د/ ياسر نصر
تلوين: محمد حسن

دار زهور المعرفة والبركة

قِصَّةٌ فِي الْبِدَايَةِ:

خَطَوْتُ إِلَى الْمِنصَّةِ، مطرِقَ الرأسِ، ووقفْتُ فِي مواجهَةِ الْحاضِرِينَ وتطلَّعْتُ فِي نظرَةٍ شامِلَةٍ.. كانُوا خَلِيطًا غَرِيبًا، آبَاءً وأبناءً، شِيبًا وشُيُوخًا، رِجَالا ونساءً، طَلَبَةً وأساتِذَةً عُمَّالاً وموظَّفِينَ، تُجَّارًا وفلاحِينَ.. كَانُوا "شَعْبًا".. وَفَجْأَةً ثَبَتَتْ عَيْنَايَ عَلَى واحدٍ مِنْهُمْ، ودارَتْ بِيَ الأرضُ، وفتَحْتُ فَمِي لأتَكَلَّمَ، ثُمَّ أَغْلَقْتُهُ، فَقَدِ استَعْصَى عَلَيَّ الْكَلامِ، وَمَضَتْ فترَةٌ خِلْتُهَا دَهْرًا، تَمَلْمَلَ مِنْهَا الحاضِرونَ، وتساءَلُوا:

– لِمَاذَا لا يتكلمُ ؟ مَا لَهُ صَامِتًا؟!

وَأنَا عَلَى يقينٍ مِنْ أَنَّ كثيرينَ مِنْهُمْ شَعَرُوا فِي هَذِهِ اللحظةِ بِالأسَفِ العَمِيقِ للاسْتِمَاعِ إِلَى مُحَاضرةٍ قَوْمِيَّةٍ، لَيَجِدُوا الْمُحاضِرَ عَيَّ اللِّسَانِ، مُرْتَبِكَ الْجنَانِ.. وَأخِيرًا، اسْتَطَعْتُ أنْ أتَحدَّثَ.. وأقولُ:

– كنتُ قَدْ أعْدَدْتُ فِي ذِهْنِي مُقَدِّمَةً أستَهِلُّ بِهَا حَدِيثِي، وَلَمْ أكُنْ أتَوقَّعُ أَنْ يُرتِّبَ الْقدَرُ لِي شَيْئًا آخرَ.. لَقَدْ كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَتَحدَّثَ عَنْ مُدَرِّسِ التَّارِيخِ فِي مَدْرَسَتِي الثَّانَوِيَّةِ.. كَانَ يُغْلِقُ عَلَيْنَا حُجْرَةَ الدِّرَاسَةِ، وَيُهَاجِمُ – فِي قَسْوَةٍ لا هَوَادَةَ فِيهَا – الاسْتِعْمَارَ، وَالإنْجِلِيزَ، والإقْطَاعَ، وَالْمَلَكِيَّةَ، وَيَخْتِمُ حَدِيثَهُ بِعِبَارَةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ:

– هَذَا مَا يَجِبُ أَنْ تَعْرِفُوهُ، وَتَعُوهُ، وَتَحْفَظُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ.. لِتَنْجَحُوا فِي الْحَيَاةِ.. ثُمَّ يَفْتَحُ أُسْتَاذُنَا الأبْوَابَ وَالنَّوَافِذَ، وَيَبْدَأُ فِي شَرْحِ الدَّرْسِ وَيَخْتِمُهُ بِقَوْلِهِ:

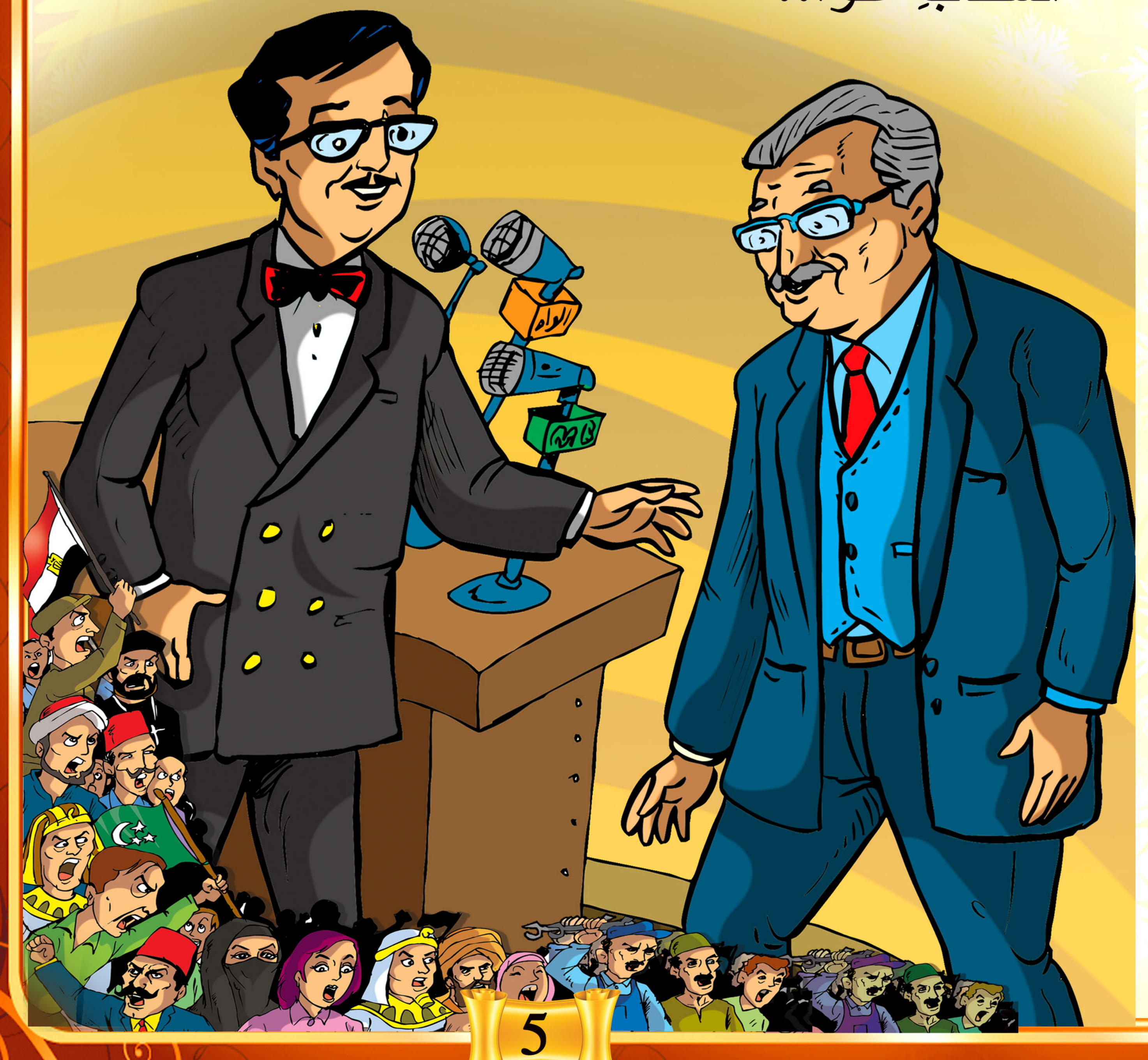
–وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ تَقرَءُوه وَتُذَاكِرُوهُ، وَتَكْتُبُوهُ فِي أوْرَاقِ الامْتِحَانِ.. لِتَنْجَحُوا فِي الامْتِحَانِ.

وَكنتُ أُرِيدُ أَنْ أواصِلَ حديثِي فأقولُ: إِنَّ الأبوابَ والنَّوافِذَ قَدْ فُتِحَتْ فِي بِلادِنَا بَعْدَ يومِ 23 يوليُو 1952.. وبعدَ أَنْ طردْنَا الطُّغَاةَ وقبرْنَا الغُزَاةَ، وأَنَّنِي سَأَرْوِي الآنَ مَا كَانَ يَقُولُهُ لَنَا أُسْتَاذُنَا مُنْذُ سِنِينَ، وَأُحَيِّيهِ أَيْنَمَا كَانَ، وَحَيْثُمَا حلَّ..

هَذَا يَا إِخْوَانِي مَا رَتَّبْتُهُ، أَمَّا الْقدرُ فَكَانَ أَرْوَعَ فِي تَدْبِيرِهِ، فَأُسْتَاذُ التَّارِيخِ فِي مَدْرَسَتِي الثَّانوِيَّةِ هُنَا الآنَ.. لَمْ أَلْقَهُ مُنْذُ سِنِينَ، وَلَمْ أَرَهُ إِلا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ بَعْدَ أَعْوَامٍ مِنَ افْتِرَاقِي عَنْهُ.. وَقَدْ جَاءَ هُنَا لِيَسْمَعَنِي أَنَا، تِلْمِيذَهُ، بَلِ ابْنَهُ .. لا أَحْسَبُهُ يَذْكُرُنِي فَقَدْ عَلَّمَ الأُلُوفَ.. وَلَكِنَّنِي أَذْكُرُهُ فِي قَلْبِي، وَكُنْتُ سَأَتَحَدَّثُ عَنْهُ.. وَأُحَيِّيهِ.. وَلَكِنَّ تَرْتِيبَ الْقَدَرِ أَذْهَلَنِي، وَجَعَلَنِي أَرْتَبِكُ حِينَما وَقَفْتُ.. فَقَدْ أَحْسَسْتُ أَنَّ كُلَّ مَا رَتَّبْتُهُ قَدْ ضَاعَ مِنِّي، وَشَعَرْتُ أَنَّ مَكَانِي هَذَا لَيْسَ لِي وَهُوَ بَيْنَكُمْ؛ لأَنِّي صَدَى لِصَوْتِهِ، وَتَرْدِيدًا لِدِرَاسَاتِهِ.. وَلَكِنِّي أَسْتَمِيحُهُ عُذْرًا أَنْ يَسْمَحَ لِي بِالْحَدِيثِ، وَأَنْ يُسْعِدَنِي بِالإِنْصَاتِ وَكَأَنِّي فِي لَجْنَةِ اخْتِبَارٍ، وَلَسْتُ أَظُنُّهُ إِلا رَاضِيًا، بَلْ سَعِيدًا، بِمَوْقِفِي هُنَا، وَقَدْ شَارَكَ فِي صُنْعِهِ وَخَلْقِهِ، وَمَا حَدِيثِي إِلا ثَمَرَةٌ مِنْ غَرْسِهِ..

وَقَدَّمْتُ أُسْتَاذِي لِلْحَاضِرِينَ، فَحَيَّوْهُ تَحِيَّةً طَيِّبَةً أَثْلَجَتْ صَدْرِي، ثُمَّ بَدَأْتُ حَدِيثِي عَنْ "مِصْرُ.. مَقْبَرَةُ الْغُزَاةِ" وَانْتَهَيْتُ مِنْهُ، لِيَخْطُوَ أُسْتَاذِي إِلَى الْمِنَصَّةِ، وَيَتَحَدَّثُ، وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ وَصَوْتُهُ يَتَهَدَّجُ..

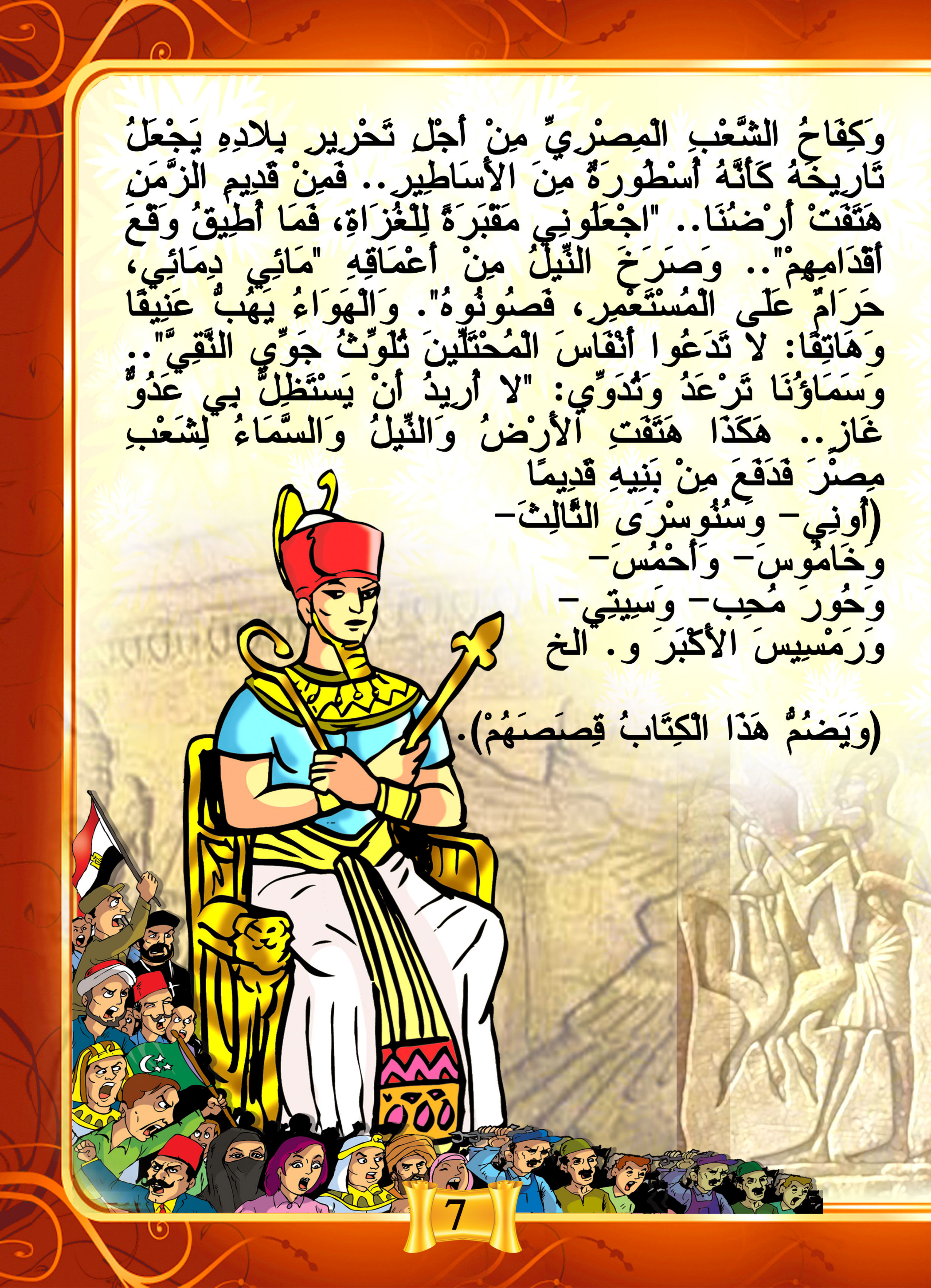
وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ:
-شُكْرًا لِلْقدَرِ الَّذِي أَتَاحَ لِي هَذَا الْمَوْقِفَ، وَزَادَنِي إِيمَانًا بِرِسَالَتِي، وَتَوَّجَ جُهُودِي بِرُؤْيَةِ هَذِهِ الثَّمَرَةِ.. وَلَقَدْ نَسَبَ إِلَيَّ كُلَّ الْفَضْلِ وَلَكِنَّ الْكَثِيرَ مِمَّا قَالَهُ فِيهِ جُهْدُهُ الشَّخْصِيُّ، وَبَحْثُهُ وَتَنْقِيبُهُ، وَأَنَا سَعِيدٌ لأَنِّي شَارَكْتُ فِي وَضْعِ أَسَاسِ هَذَا الْبَحْثِ، وَارْتَفَعَ بِهِ صَاحِبُهُ حَتَّى غَدَا شَامِخًا. وَتَارِيخُنَا يُطَاوِلُ نَاطِحَاتِ السَّحَابِ عُلُوًّا..



وَنَحْنُ نَبْنِيهِ لَبِنَةً لَبِنَةً .. وَأَحْمَدُ اللهَ أَنْ مَدَّ فِي عُمُرِي إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، وَكَمْ تَسَاءَلْتُ: مَاذَا صَنَعْتُ فِي أَيَّامِي الطَّوِيلَةِ؟.. وَالْيَوْمَ جَاءَنِي الْجَوَابُ.. وَأَنَا إِنْ قَضَيْتُ الآنَ فَأَمْضِي مرتَاحَ الضَّمِيرِ، فَقَدْ أَسْهَمْتُ فِي صُنْعِ ثَوْرَةِ بِلادِي ، وَمَجْدِهَا، بِمَا فَعَلْتُهُ، وَعَلَّمْتُهُ لِهَذَا الشَّابِّ وَزُمَلائِهِ.. أَنَا فَخُورٌ السَّاعَةَ بِنَفْسِي، وَتِلْمِيذِي، وَوَطَنِي.. بِنَفْسِي، لأَنِّي.. كَمُدَرِّسٍ – عَلَّمْتُ، وَثَقَّفْتُ وَأَدَّيْتُ وَاجِبِي، وَبِتِلْمِيذِي، لأَنَّهُ لَمْ يَنْسَنِي بِرَغْمِ هَذَا، وَبِرَغْمِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ.. وَبِوَطَنِي؛ لأَنَّهُ يَضُمُّنِي، أَنَا وَهُوَ.. وَكَلِمَةٌ أَخِيرَةٌ، لَكَ يَا بُنَيَّ وَتِلْمِيذِي،.. انْشُرْ حَدِيثَكَ اللَّيْلَةَ، فَهُوَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوضَعَ بَيْنَ يَدِ الشَّبِيبَةِ، وَأَنْ يَقْرَأَهُ وَيَعِيَهُ أَبْنَاءُ شَعْبِنَا الْمَجِيدِ.

وَأَنَا الآنَ أُحَاوِلُ أَنْ أَسْتَجِيبَ لِنَصِيحَةِ أُسْتَاذِي، وَمَا أُقَدِّمُهُ الآنَ لَيْسَ أَبْحَاثًا تَارِيخِيَّةً عَمِيقَةً أَكْشِفُ بِهَا عَنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ مُسْتَوْرَدَةٍ .

إِنَّمَا أُقَدِّمُ صَفَحَاتٍ مُتَنَاثِرَةً مِنْ تَارِيخِنَا، أَوْ مِنْ إِيمَانٍ عَمِيقٍ بِصِدْقِهِ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَرْجِعٍ وَسُجِّلَتْ فِي أَكْثَرِ مِنْ كِتَابٍ، وَجَمَعْتُهَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، وَوَضَعْتُهَا فِي إِطَارٍ رِوَائِيٍّ، قَدْ يَكُونُ جَدِيدًا عَلَى "الأَبْحَاثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يُخَفِّفُ مِنْ صَلابَتِهَا، وَيُقَلِّلُ مِنْ جُمُودِهَا، وَيَجْعَلُهَا مَقْبُولَةَ السَّرْدِ، تَتَسَلْسَلُ أَحْدَاثُهَا فِي يُسْرٍ، وَتَمْضِي كَأَنَّهَا جَدْوَلُ مَاءٍ جَارٍ.. قَدْ يَرِدُهُ يَوْمًا مَا بَعْضُ الشَّارِبِينَ.



وَكِفَاحُ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرِ بِلادِهِ يَجْعَلُ تَارِيخَهُ كَأَنَّهُ أُسْطُورَةٌ مِنَ الأَسَاطِيرِ.. فَمِنْ قَدِيمِ الزَّمَنِ هَتَفَتْ أَرْضُنَا.. "اجْعَلُونِي مَقبَرَةً لِلْغُزَاةِ، فَمَا أُطِيقُ وَقعَ أَقْدَامِهِمْ".. وَصَرَخَ النِّيلُ مِنْ أَعْمَاقِهِ "مَائِي دِمَائِي، حَرَامٌ عَلَى الْمُسْتَعْمِرِ، فَصُونُوهُ". وَالْهَوَاءُ يَهُبُّ عَنِيفًا وَهَاتِفًا: لا تَدَعُوا أَنْفَاسَ الْمُحْتَلِّينَ تُلَوِّثُ جَوِّي النَّقِيَّ".. وَسَمَاؤُنَا تَرْعَدُ وَتُدَوِّي: "لا أُرِيدُ أَنْ يَسْتَظِلَّ بِي عَدُوٌّ غَازٍ.. هَكَذَا هَتَفَتِ الأَرْضُ وَالنِّيلُ وَالسَّمَاءُ لِشَعْبِ مِصْرَ فَدَفَعَ مِنْ بَنِيهِ قَدِيمًا

(أُونِي- وَسُنُوسْرَى الثَّالِثَ-
وَخَامُوسَ- وَأَحْمُسَ-
وَحُورَ مُحِب- وَسِيتِي-
وَرَمْسِيسَ الأَكْبَرَ و. الخ

(وَيَضُمُّ هَذَا الْكِتَابُ قِصَصَهُمْ).

وَفِي عَصْرِ الإِسْلاَمِ كَانَ مِنْ أَبْطَالِ تَحْرِيرِ الْوَطَنِ الْمُظَفَّرُ وَصَلاحُ الدِّينِ وَ.. الخ، وَسَنَقْرَأُ عَنْهُمْ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي.
وَفِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ كَانَ مِنْ بَيْنِ مُحَرِّرِيهِ عُمَرُ مَكْرَمٍ، وَعُرَابِي، وَمُصْطَفَى كَامِلٍ، وَسَعْدُ زَغْلُولٍ، وَجَمَالُ عَبْدِ النَّاصِرِ، وَأَنْوَرُ السَّادَاتِ.
وَقِصَصُهُمْ سَنَرْوِيهَا فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ وَالأَخِيرِ.
وَقَدِ اسْتَجَابَ هَؤُلاءِ لِصَيْحَةِ الشَّعْبِ، وَصَرْخَةِ التَّحْرِيرِ فَجَعَلُوا مِنْ مِصْرَ أَرْضَ النِّضَالِ وَوَطَنَ الْحُرِّيَّةِ.
***

أَوْرَاقُ الْبَرْدِيِّ، وَأَحْجَارُ الْبِنَاءِ فِي مِصْرِنَا الْحَبِيبَةِ، عَامِرَةٌ بِأَرْوَعِ صُوَرِ الْكِفَاحِ وَالنِّضَالِ، وَقَدْ يَعْثُرُ الْبَاحِثُونَ وَالْمُكْتَشِفُونَ ضِمْنَ الآثَارِ الْقَدِيمَةِ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا وَطَنِيٌّ غَيُورٌ فِي آخِرِ أَيَّامِ الرُّومَانِ فِي مِصْرَ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِيهَا صَحِيحٌ تَارِيخِيًّا، وَلَمْ نُضِفْ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ عِنْدِنَا..
وَهُنَاكَ قِصَّتَانِ أُخْرَيَانِ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ:
وَاحِدَةٌ عَنْ مِصْرَ الإِسْلامِيَّةِ، وَالثَّانِيَةُ عَنْ مِصْرَ الْحَدِيثَةِ.. فَإِنَّ بِلادَنَا عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ هَزَمَتِ الْغُزَاةَ وَجَعَلَتْ مِنْ أَرْضِنا مَقْبَرَةً لَهُمْ.
أَنَا أمنميسُ بْنُ أمنميسَ الْكَبِيرِ، أَتَحَدَّثُ إِلَيْكُمْ يَا حَفَدَتِي يَا أَحِبَّائِي يَا أَعِزَّائِي عَبْرَ أَسْوَارِ الزَّمَنِ، وَأَنْقُشُ لَكُمْ عَلَى الْحَجَرِ قِصَّتِي..

وَقِصَّةَ أَجْدَادِي لِتَتَوَارَثُوهَا إِنْ أَنَا مَضَيْتُ فَجْأَةً كَمَا يُرِيدُ الْغُزَاةُ الْمُحْتَلُّونَ..

أَنَا أمنميسُ بْنُ أمنميسَ الْكَبِيرِ، أَصْنَعُ الْقَمْحَ مَعَ فَأْسِي، وَأَصْنَعُ الْحَبَّ مَعَ نفرتاتري زَوْجَتِي الْعَزِيزَةِ، وَأَصْنَعُ التَّارِيخَ مَعَ مُوَاطِنِيَّ الأَمْجَادِ، وَهُوَ تَارِيخٌ رَائِعٌ نَسْطُرُهُ بِالدِّمَاءِ وَالْعَرَقِ، وَقَدْ يَعْلُو فَيَبْدُو شَاهِقًا كَأَنَّهُ الْهَرَمُ الْكَبِيرُ، وَقَدْ يَعْمُقُ فَيَظْهَرُ غَوْرًا سَحِيقًا كَأَنَّهُ الْمَقْبَرَةُ.



وَأنَا أُحِبُّ مِصْرَ بَلَدِي، وَأُحِبُّ كُلَّ النَّاسِ الطَّيِّبِينَ، وَلَكِنَّ فِئَةً مِنَ الْغُزَاةِ الرُّومَانِ يَقُولُونَ عَنِّي أَنِّي خَطِيرٌ، وَثَائِرٌ، وَمُتَآمِرٌ، وَأَنِّي سَأَدْفَعُ رَأْسِي ثَمَنًا لِصِرَاعِي وَكِفَاحِي ضِدَّهُمْ.. وَأَقُولُ: إِنَّ كَثِيرِينَ مِنْ أَجْدَادِي دَفَعُوا هَذَا الثَّمَنَ سُعَدَاءَ رَاضِينَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ مِصْرَ.. مَقْبَرَةً لِلْغُزَاةِ!

وَأَنَا لَسْتُ مُدَّعِيًا، وَلا كَذَّابًا، وَلا جَهُولاً، إِنَّمَا أَنَا أَرْوِي حِكَايَتِي وَحِكَايَةَ أَجْدَادِي، وَطَابِقُوا أَقْوَالَ هِيرُودِيتَ الْيُونَانِيِّ الَّذِي زَارَ بَلَدَنَا وَتَحَدَّثَ عَنْهَا، وَقَارَنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بُلْدَانِ آسْيَا وَأُورُبَّا، وَقَدْ رَأَى هَذِهِ وَتِلْكَ، وَيَرْوُونَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ..

- إِنَّ سُكَّانَ أُورُبَّا قَبَائِلُ بِدَائِيَّةٌ مُتَنَاثِرَةٌ مُتَنَافِرَةٌ..
- مِصْرُ دَوْلَةٌ مُوَحَّدَةٌ لَهَا نَظْمُهَا وَقَوَانِينُهَا وَحُكَّامُهَا.
- فِي آسْيَا وَأُورُبَّا يَعِيشُونَ فِي أَرْضٍ جَرْدَاءَ، وَغَابَاتٍ مُظْلِمَةٍ، وَمُسْتَنْقَعَاتٍ رَاكِدَةٍ.
- فِي مِصْرَ يَحْيَوْنَ فِي أَرْضٍ خِصْبَةٍ وَسْطَ زُرُوعٍ خَضْرَاءَ عَلَى ضِفَّةِ نِيلٍ جَارٍ..
- يَسْكُنُ الْمِصْرِيُّونَ الدُّورَ وَالْقُصُورَ، حَتَّى لَقَدْ بَنَوْا قَصْرَ اللامبرنتِ مِنْ ثَلاثَةِ آلافِ غُرْفَةٍ.
- أَسْيَادُ أُورُبَّا يَقِفُونَ عَاجِزِينَ أَمَامَ قُوَى الطَّبِيعَةِ.. لا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَعْبُرُونَ مَجْرَى مَاءٍ.
- هَزَمَ الْمِصْرِيُّونَ الطَّبِيعَةَ، وَشَيَّدُوا السُّفُنَ وَبِهَا عَبَرُوا
- أَسْيَادُ أُورُبَّا يَتْرُكُونَ جُثَثَ مَوْتَاهُمْ لِلْوُحُوشِ تُمَزِّقُهَا بِأَنْيَابِهَا..
- أَقَامَ الْمِصْرِيُّونَ لِمَوْتَاهُمُ الأَهْرَامَ الشَّاهِقَةَ الْخَالِدَةَ وَصَانُوا الْجُثَثَ فِي الْقُبُورِ.. الأَنْهَارَ، وَأَنْشَأَ سحورَعُ أُسْطُولاً سَادَ بِهِ الْبِحَارَ.

• أسْيَادُ أورُبَّا يَعِيشُونَ مَعَ الْوُحُوشِ وَلَيْسُوا أَقَلَّ مِنْهَا ضَرَاوَةً وَلا وَحْشِيَّةً.

• فِي مِصْرَ حَضَارَةٌ وَمَدَنِيَّةٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ.

وَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ إِزَاءَ هَذَا أَنْ تَتَطَلَّعَ آسْيَا وَسُكَّانُهَا إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي أَسْكُنُهَا أَنَا، أمنميسُ بْنُ أمنميسَ الْكَبِيرِ، وَسَكَنَهَا مِنْ قَبْلِي أَبْنَائِي وَأَجْدَادِي.. وَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى أَرْضِي الْخَضْرَاءِ، الْوَارِفَةِ الظِّلالِ، الْعَامِرَةِ بِالثِّمَارِ، بِعُيُونٍ مِلْؤُهَا الْحَسَدُ وَالْحِقْدُ، وَالْجَشَعُ وَالطَّمَعُ، وَبَدَأَتْ غَارَاتُ الآسْيَوِيِّينَ، وَتَعَدَّوْا حُدُودَ مِصْرَ الشَّرْقِيَّةَ فِي عَهْدِ جَدِّي الأَوَّلِ.. فَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ مِيلادِ الْمَسِيحِ بِنَحْوِ 2250 عَامًا.. وَعَهِدَ جَدِّي بِيبِي الأَوَّلُ – أَعْظَمُ مُلُوكِ الأُسْرَةِ السَّادِسَةِ – إِلَى قَائِدِهِ "أُونِي" أَنْ يُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنَ الْغُزَاةِ، فَحَشَدَ جَيْشَهُ وَسَارَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ سَيْنَاءَ،



وَشَتَّتَ بِهِ شَمْلَ الْعَدُوِّ، وَدَمَّرَ قِلاعَهُ، وَخَرَّبَ دِيَارَهُ، وَعَادَ مَنْصُورًا، يُكَلِّلُ الْغَارُ جَبِينَهُ، وَقَدْ ثَارَ الآسْيَوِيُّونَ لِذَلِكَ فَأَدَّبَهُمْ أَجْدَادِي، وَبَعَثُوا بِأُسْطُولٍ بَحْرِيٍّ قَادَهُ "أُونِي" بِنَفْسِهِ، وَسَارَ بِحِذَاءِ سَوَاحِلِ فِينِيقِيَا وَأَنْزَلَ جُنْدَهُ هُنَاكَ، وَهَزَمَ هَؤُلاءِ الْغُزَاةَ.. وَبِذَلِكَ أَمِنَتْ مِصْرُ شَرَّ هَجَمَاتِهِمُ الْمُتَكَرِّرَةِ إِلَى حِينٍ.. وَعَاشَتْ مِصْرُ فِي رَخَاءٍ، وَبَسَطَتْ سُلْطَانَهَا عَلَى رُقْعَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الأَرْضِ، وَبَدَأَ الآسْيَوِيُّونَ بَعْدَ قَرْنَيْنِ وَنِصْفٍ مِنَ الزَّمَانِ يُهَاجِرُونَ إِلَيْهَا، وَيَسْتَشْفِعُونَ بِالْهَدَايَا وَالْهِبَاتِ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَى الْحُكَّامِ أَنْ يَبْقَوْا فِي بِلادِنَا لِلتِّجَارَةِ.. قَدِمُوا فِي عَهْدِ سنوسرتَ



الأَوَّلِ الَّذِي سَمَّاهُ الْيُونَانِيُّونَ سيزوستريسَ، وَالَّذِي حَفَرَ قَنَاةً تَرْبِطُ النِّيلَ بِالْبَحْرِ الأَحْمَرِ، وَزَادَتْ هِجْرَتُهُمْ فِي عَهْدِ ابْنِهِ، وَتَفَاقَمَ شَرُّهُمْ فِي عَهْدِ حَفِيدِهِ سنوسرت الثَّالِثِ الَّذِي أَحَسَّ أَنَّهُمْ لاَ يَفِدُونَ بِقَصْدِ التِّجَارَةِ فَحَسْبُ.. فَطَارَدَ هَؤُلاءِ الزَّاحِفِينَ، وَأَوْقَعَ بِهِمُ الْهَزِيمَةَ، وَتَعَقَّبَهُمْ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْجُزْءِ الْجَنُوبِيِّ مِنْ فِينِيقِيَا.

وَمَضَى حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَعَادَ الأَسْيَوِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ لِلْهُجُومِ وَالزَّحْفِ، بِجُمُوعٍ كَأَنَّهَا النَّمْلُ عَدَدًا، وَقَدْ بَدَأَ هَذَا الزَّحْفُ فِي الأَلْفِ الثَّانِي قَبْلَ الْمِيلادِ، وَسَيْطَرَ هَؤُلاءِ الْغَاصِبُونَ- الَّذِينَ عُرِفُوا بِاسْمِ الْهِكْسُوسِ- عَلَى الدِّلْتَا، وَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ عَاصِمَةً فِي إِثَارِيسَ، وَأَقَامُوا فِيهَا الْحُصُونَ، وَشَيَّدُوا الْقِلاعَ، حَاسِبِينَ أَنَّهُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ، وَدَمَّرُوا مَعَابِدَ أَجْدَادِي، وَرَاحُوا يُشَيِّدُونَ لأَنْفُسِهِمْ مَعَابِدَ شَبِيهَةً بِهَا، وَقَلَّدُوا الْفَرَاعِنَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. وَلَكِنْ هَلْ يَجُوزُ هَذَا عَلَى حَفَدَةِ مِينَا وَخُوفُو؟!

سَكَتَ بَنُو مِصْرَ، وَحَسِبَ الْهِكْسُوسُ أَنَّ الأَمْرَ قَدِ اسْتَتَبَّ لَهُمْ، وَزَادَهُمْ ذَلِكَ طَمَعًا، وَرَغِبُوا فِي أَنْ يَمُدُّوا سُلْطَانَهُمْ فَيَشْمَلَ مِصْرَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، وَرَاحُوا يُفَتِّشُونَ عَلَى وَسِيلَةٍ تُمَكِّنُهُمْ مِنْ هَذَا، كَمَا مَكَّنَتِ الذِّئْبَ مِنَ الْتِهَامِ الْحَمَلِ الْمِسْكِينِ بَعْدَ أَنِ اتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ يُعَكِّرُ عَلَيْهِ الْمَاءَ! وَلَكِنَّ أَهْلَ مِصْرَ لَمْ يَكُونُوا مِثْلَ ذَلِكَ الْحَمَلِ الْوَدِيعِ الْمَظْلُومِ، بَلْ كَانُوا يَطْوُونَ وَرَاءَ سُكُوتِهِمْ ثَوْرَةً عَارِمَةً فِي صُدُورِهِمْ، وَيَخْتَفِي خَلْفَ صَوْتِهِمْ عَزْمٌ شَدِيدٌ فِي قُلُوبِهِمْ، وَرَاحُوا فِي صَبْرٍ وَأَنَاةٍ يَحْفِرُونَ لِلْغُزَاةِ قَبْرًا..

يَحْفِرُونَهُ بِأظْفَارِهِمْ.. يَا لصَبْرِهِمْ..! وَهُمْ لَمْ يَكْرَهُوا حَاكِمًا طِيلَةَ الزَّمَانِ الَّذِي عَرَفُوا فِيهِ الْحُكَّامَ كَمَا كَرِهُوا هَؤُلاءِ الْهِكْسُوسَ، فَبَدَأَ صَعِيدُ مِصْرَ فِي الثَّوْرَةِ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَنْزِعَ لِنَفْسِهِ حَقَّهُ فِي الْحُرِّيَّةِ وَحَقَّهُ فِي الْحَيَاةِ.. وَلَمْ يَقِفْ بِهِ الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحَرِّرَ الشَّمَالَ لِتَبْقَى مِصْرُ الْمُوَحَّدَةُ، مِصْرُ مِينَا، الْمَلِكِ الأَوَّلِ، وَانْتَظَرَ "خَاموسُ" أَمِيرُ طِيبَةَ حَتَّى تَحِينُ سَاعَةُ الْخَلاصِ، وَحَسِبَ الْهِكْسُوسُ سُكُوتَهُ ضَعْفًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَمُدُّ لَهُمُ الْحَبْلَ لِيَشْنِقُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ..

وَلَمْ يَطُلِ انْتِظَارُهُ، إِذْ تَلَقَّى ذَاتَ صَبَاحٍ رِسَالَةً مِنْ "أَبُوبِي" مَلِكِ الْهِكْسُوسِ يَقُولُ فِيهَا أَنَّ أَفْرَاسَ الْبَحْرِ فِي بِرْكَةِ طِيبَةَ تُحْدِثُ أَصْوَاتًا تُزْعِجُهُ فِي نَوْمِهِ، وَأَنَّهُ لِذَلِكَ سَيُبِيدُ هَذِهِ الأَفْرَاسَ!.." وَهِيَ أَفْرَاسٌ مُقَدَّسَةٌ لَدَى الْمِصْرِيِّينَ!

وَكَانَ مِنَ الْغَرِيبِ طَبْعًا أَنْ يَدَّعِي "أَبُوبِي" الَّذِي يَنَامُ فِي أَفَارِيسَ (فِي وَسَطِ الدِّلْتَا) أَنَّ أَفْرَاسَ الْبَحْرِ فِي طِيبَةَ (قَلْبِ الصَّعِيدِ) تُزْعِجُهُ فِي نَوْمِهِ!، وَلَكِنَّهَا قِصَّةُ الذِّئْبِ وَالْحَمَلِ الَّذِي عَكَّرَ عَلَيْهِ الْمَاءَ!، وَكَانَتْ إِجَابَةُ "خَاموسَ" لِرَسُولِ "أَبُوبِي" قَاطِعَةً حَاسِمَةً:

-قُلْ لِسَيِّدِكَ أَنَّ أَفْرَاسَ الْبَحْرِ لَنْ تُزْعِجَهُ بَعْدَ الْيَوْمِ..

-نَعَمْ.. لا بُدَّ أَنْ تَمْنَعُوهَا وَإِلا..

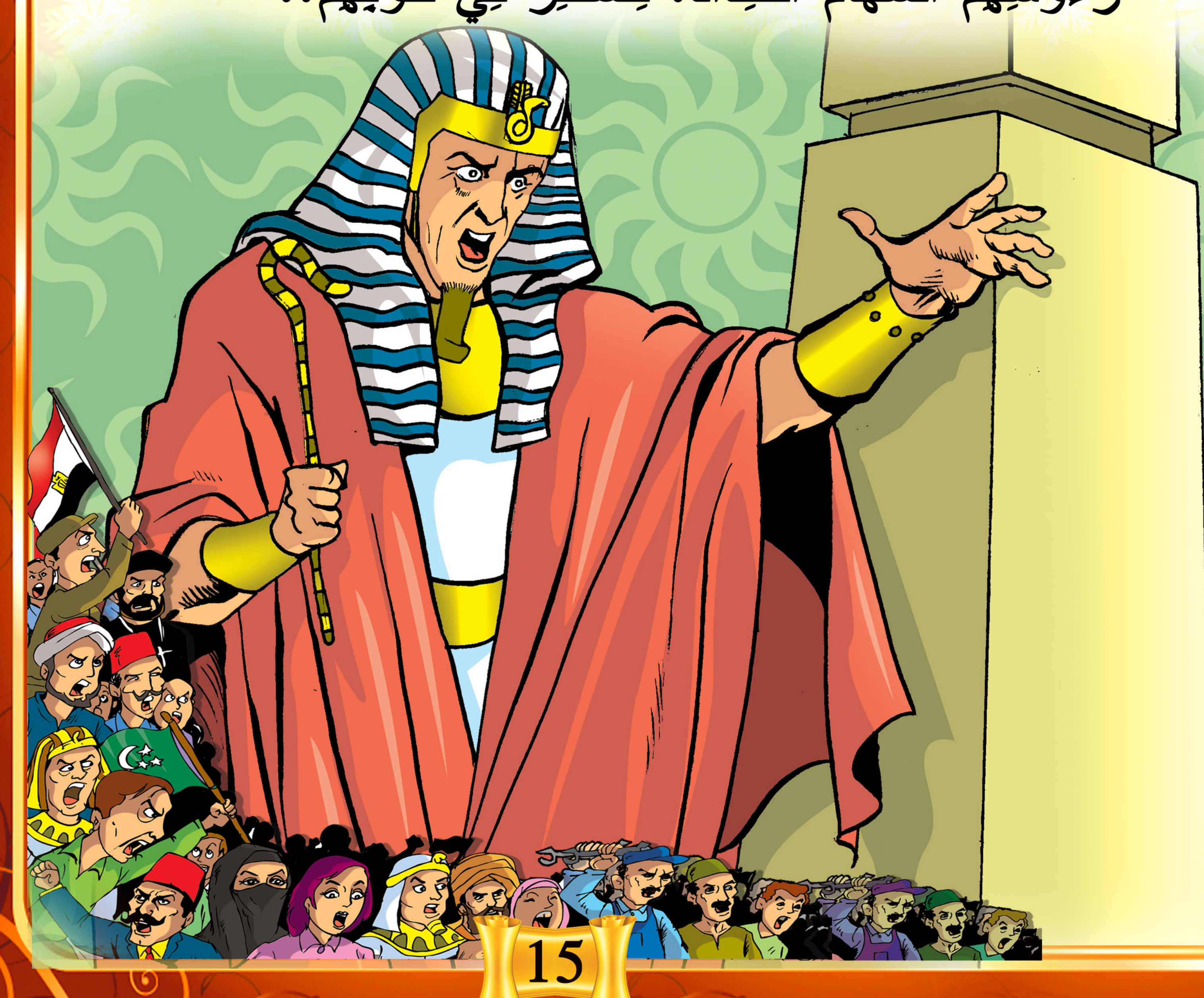
-وَقُلْ لَهُ أَنَّ الَّذِي سَيُقِضُّ مَضْجَعَهُ فُرْسَانُ الْبَرِّ، وَقَعْقَعَةُ السِّلاحِ، وَصَلِيلُ السُّيُوفِ، وَأَزِيزُ الرِّمَاحِ..

فَظَهَرَتْ عَلامَاتُ الدَّهْشَةِ عَلَى وَجْهِ الرَّسُولِ، وَتَابَعَ "خَاموسُ" قَوْلَهُ:

-وَأَبْلِغْ سَيِّدَكَ تَحِيَّاتِي، وَقُلْ لَهُ: إِلَى اللِّقَاءِ!

ازْدَادَ الرَّسُولُ دَهْشَةً، وَسَأَلَ فِي ذُهُولٍ:
- اللِّقَاءُ؟! أَيْنَ؟!
أَجَابَهُ "خَامُوسُ" فِي لَهْجَةٍ حَاسِمَةٍ حَازِمَةٍ:
- فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ!!

وَزَحَفَ بَنُو مِصْرَ، يَحْمِلُونَ فِي أَيْدِيهِمُ الْيُمْنَى سُيُوفَهُمْ، وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيُسْرَى مَعَاوِلَ يَحْفِرُونَ بِهَا الْقُبُور لِيُوَارُوا فِيهَا أَعْدَاءَهُمُ، الَّذِينَ تَسَاقَطُوا قَتْلَى وَجَرْحَى، كَمَا تَتَسَاقَطُ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ فِي الْخَرِيفِ وَزَحَفَتْ عَلَيْهِمُ الْعَرَبَاتُ الْحَرْبِيَّةُ، تُجَنْدِلُهُمْ وَتُمَزِّقُ شَمْلَهُمْ، وَطَارَتْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ السِّهَامُ الْحِدَادُ، لِتَسْتَقِرَّ فِي قُلُوبِهِمْ..



وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ ثَبَتَ لِلزَّاحِفِينَ، وَتَعَالَى صَوْتٌ مِنْ بَيْنِهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِالتَّرَاجُعِ إِلَى حَيْثُ بَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ وَلَكِنَّ "خَامُوسَ" أَمِيرَ طِيبَةَ أَمَرَهُمْ بِالزَّحْفِ، وَلَنْ يَتَرَاجَعُوا..

وَجَاءَهُمُ النَّاعِي يَقُولُ:

-لَقَدِ اسْتُشْهِدَ "خَامُوسُ"!

وَوَقَفَ الْكَاهِنُ الأَعْظَمُ فِي الْمَعْبَدِ الْكَبِيرِ يُحَيِّي رُوحَ "خَامُوسَ" الْعَظِيمِ، وَيَسْتَوْدِعُهُ الآلِهَةَ، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تُبَارِكَهُ أَيْنَمَا ذَهَبَ، وَيُعَاهِدُهُ عَلَى أَنْ يَمْضُوا جَمِيعًا، فِي طَرِيقِ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ، لِكَيْ يُحَقِّقُوا رِسَالَتَهُ وَيُحَرِّرُوا بِلادَهُمْ.. ثُمَّ أَعْلَنَ بَيْنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ نَبَأَ اعْتِلاءِ "أَحْمُسَ" عَرْشَ أَبِيهِ "خَامُوسَ".. وَتَوَسَّلَ إِلَى الآلِهَةِ أَنْ تَقُودَ خُطَاهُ إِلَى النَّصْرِ وَالظَّفَرِ.. وَأَقْسَمَ "أَحْمُسُ" بِاسْمِ الآلِهَةِ وَبِحَقِّ السَّمَاءِ، وَبِأُمَّةِ الأَرْضِ، وَبِوَطَنِهِ مِصْرَ لَيُدَافِعَنَّ عَنْ بِلادِهِ، وَلَيَرُدَّنَّ عَنْهَا كَيْدَ الْمُعْتَدِينَ، وَأَنْ يَحْفِرَ لِغُزَاتِهَا قَبْرًا..

وَحَسِبَ الْكَثِيرُونَ أَنَّ كَلامَ الأَمِيرِ، الْحَدِيثِ السِّنِّ، كَثِيرًا مِنَ الْحَمَاسِ، بَلِ التَّهَوُّرِ وَرَغِبُوا فِي أَنْ يُبَصِّرُوهُ بِالأُمُورِ، وَيُفْهِمُوهُ مَدَى الْعِبْءِ الَّذِي يُلْقَى عَلَى كَاهِلِهِ، وَيُشْعِرُوهُ بِمَا يُدَبَّرُ حَوْلَهُ مِنْ مَكَائِدَ وَمُؤَامَرَاتٍ..

-قَالُوا لَهُ: خَزِينَةُ الدَّوْلَةِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا..

-قَالَ: ضَعُوا فِيهَا أَمْوَالِي، وَانْزِلُوا إِلَى الشَّعْبِ وَقُولُوا لَهُ: ادْفَعْ لِتَدْفَعَ عَنْ بِلادِكَ الْبَلاءَ!

-قَالُوا: الْجَيْشُ قَدْ بَلَغَ بِهِ الإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ وَكَادَ يَتَشَتَّتُ شَمْلُهُ..

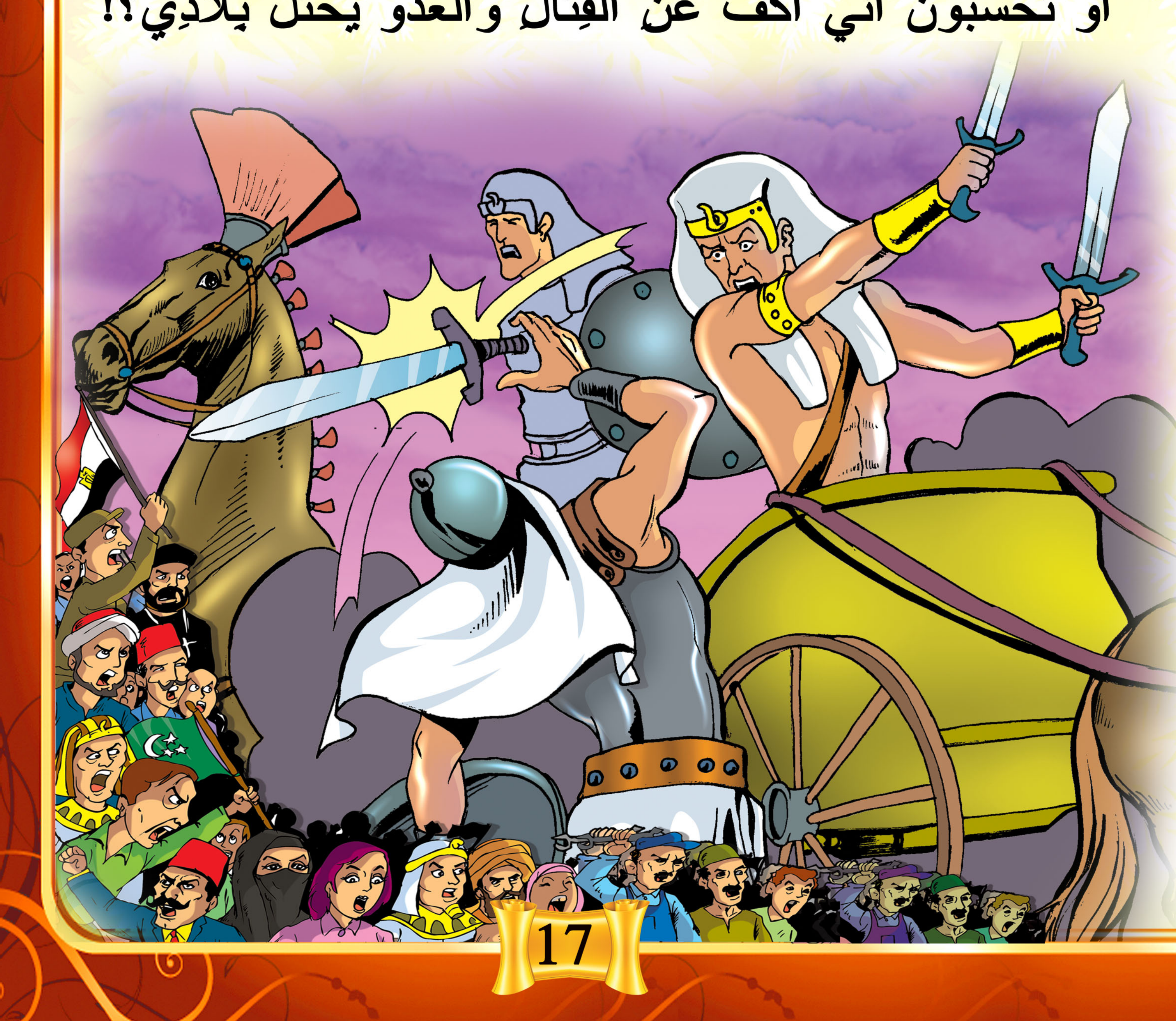
-قَالَ: إِنَّنِي أَعْرَفُ بِالْجَيْشِ مِنْكُمْ، عَاشَرْتُهُمْ فِي الْمَيْدَانِ وَعَرَفْتُهُمْ جُنْدِيًّا جُنْدِيًّا، فَمَا عَرَفْتُ فِيهِمْ إِلا الصَّلابَةَ وَالرُّجُولَةَ، وَالشَّهَامَةَ وَالشَّرَفَ..

وَأَنَّهُمْ لَعَلَى اسْتِعْدَادٍ لأَنْ يَذُودُوا عَنْ بِلادِهِمْ بِحَيَاتِهِمْ، وَلَسَوْفَ أُوَحِّدُ بِهِمْ أَسْوَارَ "أَفَارِيسَ"!

... وَذَهِلَ النَّاسُ، فَمَا حَسِبُوا أَنَّ حَمَاسَ هَذَا الشَّابِّ وَتَهَوُّرَهُ قَدْ يَدْفَعَانِ بِهِ إِلَى هَذَا السَّبِيلِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا يَطْمَعُونَ فِيهِ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى إِمَارَةِ طِيبَةَ، وَأَنْ يَحْمِيَهَا وَيُدَافِعَ عَنْهَا، أَمَّا أَنْ يَذْهَبَ بِهِ الأَمْرُ إِلَى هَذَا الْمَدَى فَذَلِكَ مَا لَمْ يَتَصَوَّرُوهُ قَطُّ، وَمَا ظَنُّوا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي قِتَالِ الْهِكْسُوسِ، وَلَكِنَّهُ هَتَفَ فِيهِمْ:

-أَتُرِيدُونَ مِنِّي أَنْ أَضَعَ سِلاحِي وَالْغَازِي فِي أَرْضِي؟!

أَوْ تَحْسَبُونَ أَنِّي أَكُفُّ عَنِ الْقِتَالِ وَالْعَدُوُّ يَحْتَلُّ بِلادِي؟!



لا.. سَنَضْرِبُهُ الضَّرْبَةَ تِلْوَ الضَّرْبَةِ إِلَى أَنْ تَحِينَ الْفُرْصَةُ فَنَدْفَعَ بِهِ إِلَى حَيْثُ لا يَقُومُ أَبَدًا ؟ وَتَسَاءَلُوا: إِلَى أَيْنَ نَدْفَعُ بِهِ؟!

ـ وَأَجَابَ: إِلَى قَبْرِهِ!

وَبَدَأَ الزَّحْفُ الْمُقَدَّسُ.. لَمْ يَتَخَلَّفْ رَجُلٌ وَاحِدٌ عَنِ النِّضَالِ.. كُلُّهُمْ فُتُوَّةٌ.. كُلُّهُمْ عَزْمٌ.. كُلُّهُمْ أَحْمُسُ.. كُلُّهُمْ مِصْرُ.. وَدَقُّوا أَسْوَارَ "أَفَارِيسَ" حَقًّا وَصِدْقًا، بَعْدَ أَنِ انْتَصَرُوا فِي الْمَعْرَكَةِ تِلْوَ الْمَعْرَكَةِ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يُعْقَدُ عَلَى جَبِينِ أَحْمُسَ الْغَارُ، وَيُكَلَّلُ نِضَالُهُ بِالنَّصْرِ.. وَهُنَاكَ فِي أَفَارِيسَ كَانَ مَشْهَدُ الْهَزِيمَةِ يُمَثَّلُ عَلَى مَسْرَحِ قَصْرِ "أَبُوبِي" مَلِكِ الْهِكْسُوسِ، الَّذِي أَقَضَّ مَضْجَعَهُ فُرْسَانُ الْبَرِّ وَقَعْقَعَةُ السِّلاحِ، وَصَلِيلُ السُّيُوفِ، وَأَزِيزُ الرِّمَاحِ.. وَهُوَ مَذْهُولٌ مِنَ الْهَزِيمَةِ، وَلا يَدْرِي كَيْفَ يُحَقِّقُ النَّصْرَ هَؤُلاءِ الْمِصْرِيُّونَ..

وَجَمَعَ "أَبُوبِي" قُوَّادَهُ فِي قَصْرِهِ، وَرَاحَ يَمْشِي أَمَامَهُمْ فِي عَصَبِيَّةٍ جِيئَةً وَذِهَابًا، وَالْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ، وَالْهَزِيمَةُ تَرْسُمُ خُطُوطَهَا عَلَى وَجْهِهِ، وَانْفَجَرَ فِي صَوْتٍ مُجَلْجِلٍ يَتَسَاءَلُ:

-كَيْفَ يَنْتَصِرُونَ عَلَيْنَا؟!

وَجَاءَ الرَّدُّ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي صَوْتٍ خَافِتٍ جَبَانٍ:

-إِنَّهُمْ يُحَارِبُونَ بِسِلاحٍ لا قِبَلَ لَنَا بِهِ..

وَسَمِعَهُ "أَبُوبِي" فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ:

-أَيُّ سِلاحٍ هَذَا؟! أَهُوَ الْعَرَبَاتُ الْحَرْبِيَّةُ؟

-لا.. لَدَيْنَا أَكْثَرُ مِمَّا لَدَيْهِمْ مِنْهَا..

-أَهُوَ السُّيُوفُ ؟!

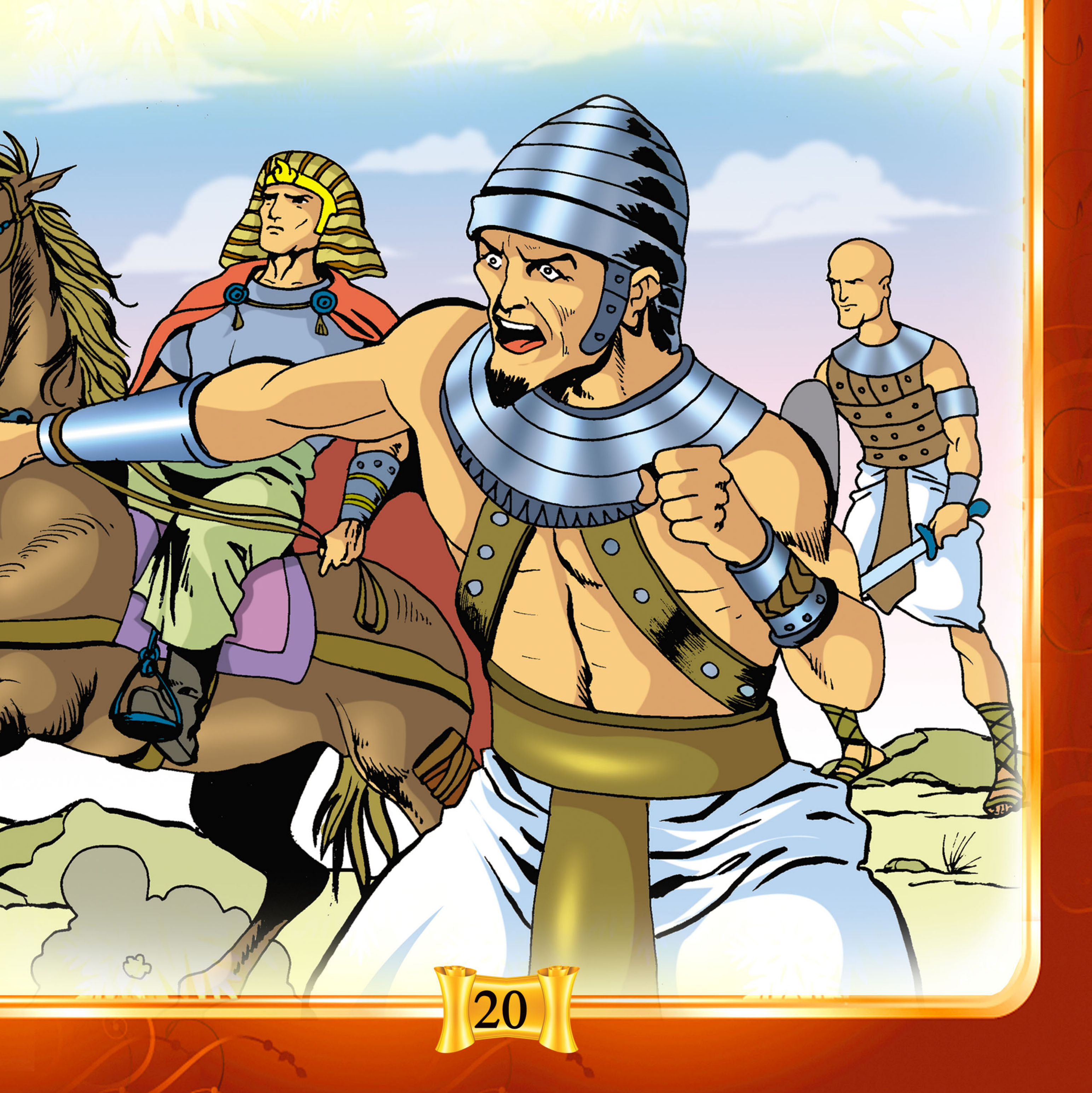
-لا.. سُيُوفُهُمْ لا تَزِيدُ عَلَى سُيُوفِنَا..

–هُمْ أَقْدَرُ مِنَّا حقًّا عَلَى التَّصْوِيبِ بِالرِّمَاحِ.. وَلَكِنَّها لَيْسَتْ سِلاحُهُمْ لِلنَّصْرِ، عِنْدَ ذَلِكَ كَانَ صَبْرُ "أَبُوبِي" قَدْ نَفَدَ، فَهَتَفَ فِيهِ:ـ قُلْ لِي مَا هُوَ هَذَا السِّلاحُ؟!

–إِنَّهُ حُبُّهُمْ لِبَلَدِهِمْ، وَتَقْدِيسُهُمْ لِمِصْرِهِمْ.. كُلَّمَا كَسبُوا شِبْرًا مِنْ أَرْضِهِمْ، وَاسْتَعَادُوهُ مِنَّا دَافَعُوا عَنْهُ بِدِمَائِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ هَلْ رَأَيْتَهُمْ يَتَرَاجَعُونَ عَنْ بُقْعَةٍ اسْتَرْجَعُوهَا.. هَلْ رَأَيْتَ الْمِصْرِيِّينَ فِي قِتَالِهِمْ؟! هَلْ شَهِدَ مَوْلايَ أَمِيرَهُمْ أَحْمُسَ فِي عَرَبَتِهِ وَسِهَامُنَا تَنْطَلِقُ إِلَيْهِ وَعَرَبَتُهُ تَنْطَلِقُ بَيْنَ صُفُوفِنَا غَيْرَ عَابِئٍ مِمَّا حَوْلَهُ..

وَسَيْفُهُ الْبَتَّارُ يَعْمَلُ فِي رِقَابِ جُنُودِنَا ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْيَسَارِ؟! أَجْدَرُ بِنَا يَا مَوْلَايَ أَنْ نَتْرُكَ لَهُمْ بِلادَهُمْ !

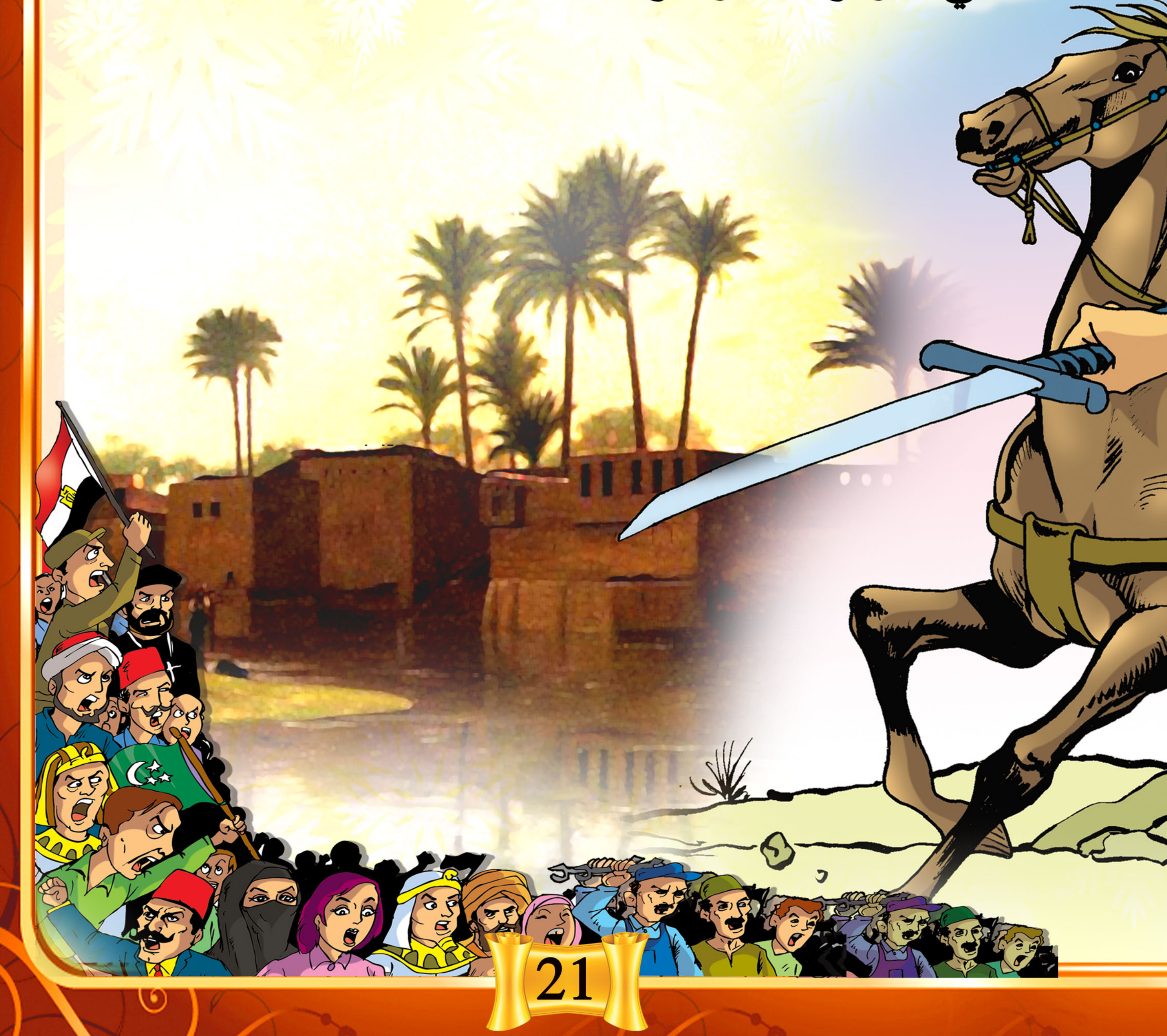
وَوَقَعَتْ كَلِمَاتُ الْقَائِدِ كَالصَّاعِقَةِ عَلَى مَلِكِ الْهِكْسُوسِ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ الْغَضَبُ وَهُوَ يَسْمَعُ نَصِيحَتَهُ بِأَنْ يَتْرُكُوا الْبِلادَ لِأَهْلِهَا، فَصَرَخَ فِيهِ:



– أَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَجْلُوَ عَنْ مِصْرَ؟ هَلْ نَتْرُكَ هَذِهِ الْجَنَّةَ الْوَارِقَةَ الظِّلالِ؟ أَلَمْ نَمْتَلِكْهَا بِحَدِّ السَّيْفِ؟!.. هِيَ إِذَنْ لَنَا..ـ إِذَنْ سَنَخْرُجُ مِنْهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.. بَلْ لَنْ نَخْرُجَ، سَنُدْفَنُ فِيهَا! لَقَدْ حَارَبْنَا يَا مَوْلايَ فِي آسنا، وَقَاتَلْنَا فِي كُلِّ أَرْجَائِهَا، هَلْ رَأَيْتَ أَشْجَعَ مِنْ هَؤُلاءِ الْمُحَارِبِينَ الْفَلاحِينَ؟ هَلْ قَابَلْتَ مَنْ يُحِبُّ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ هَذَا الْحُبَّ؟! وَالزَّرْعُ، وَدَمِهِمُ الَّذِي سَالَ دِفَاعًا عَنْهَا وَمِنْ أَجْلِهَا..

– أَنْتَ تَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ..

أَعْدَائِهِمْ، وَفَتَحُوا أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ لِقُوَّاتِهِمُ الَّتِي دَخَلَتْ لِتُقَاتِلَ فِي شَوَارِعِهَا وَطُرُقَاتِهَا..



وَلَمْ يَتَخَلَّفْ جُنْدِيٌّ وَاحِدٌ عَنِ الزَّحْفِ الْمُقَدَّسِ إِلَى النَّصْرِ.. وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ "أَحْمُسُ".. لَمْ يَكُنْ يَرْهَبُ شَيْئًا، وَكَمْ صَاحُوا فِيهِ..

-الْحَذَرَ.. الْحَذَرَ..

-فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ: الْحَذَرُ لا يُجْدِي..

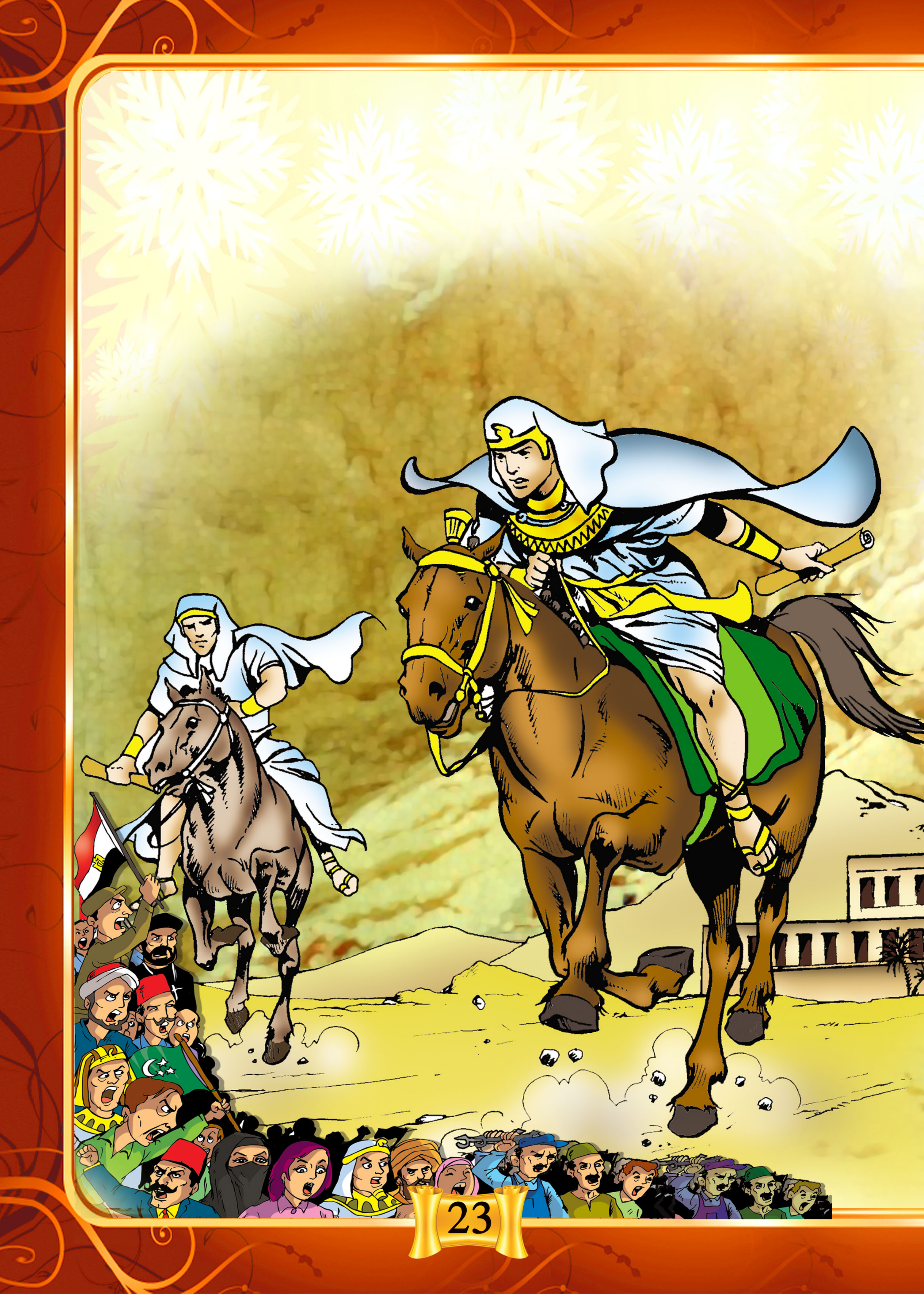
-يَقُولُونَ: نَحْنُ فِي مَدِينَةِ الأَعْدَاءِ.

-فَيُجِيبُهُمْ: بَلْ نَحْنُ فِي أَرْضِ مِصْرَ.. ثَبِّتُوا أَقْدَامَكُمْ عَلَيْهَا، وَارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ!..

وَتَبْرُقُ السُّيُوفُ وَتَلْمَعُ وَتَعْلُو وَتَهْبِطُ، وَفِي حَرَكَتِهَا الدَّائِبَةِ هَذِهِ تَجُزُّ رُءُوسَ الرُّعَاةِ الْهِكْسُوسِ، إِذْ لَمْ تُسَاعِدْهُمُ الأَقْدَامُ الْجَارِيَةُ عَلَى الْهَرَبِ!وَسَقَطَتْ "أَفَارِيسُ" تَحْتَ أَقْدَامِ مِصْرَ..

وَجُثَثُ الْمَرْعَى الْهِكْسُوس أَمَامَ "أَحْمُسَ"..

وَفِي الْمَعَابِدِ ارْتَفَعَتِ الصَّلَوَاتُ تَحْمَدُ الآلِهَةَ عَلَى النَّصْرِ، وَتَشْكُرُهَا عَلَى تَطْهِيرِ أَرْضِ الْوَطَنِ مِنَ الْغَاصِبِ..



وَخَرَجَتِ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْمَعَابِدِ تَهْتِفُ لِمُحَرِّرِهَا "أَحْمُسَ" وَتُنَادِيهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهَا لِتَرَاهُ، وَتُحَيِّيهِ، وَيَشْعُرُ ابْنُ مِصْرَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَجْلِهِ كُلَّ ذَلِكَ؛ لأَنَّ الْكَثِيرَ فِي سَبِيلِ مِصْرَ قَلِيلٌ، وَلأَنَّهُ يُدْرِكُ أَنَّ جَيْشَهُ الْبَاسِلَ كَانَ أَدَاةَ النَّصْرِ، وَأَنَّ شَعْبَهُ الثَّائِرَ كَانَ سَبِيلَهُ لِلْفَوْزِ.. أَمَّا دَوْرُهُ- فِي عُرْفِهِ- فَلَمْ يَكُنْ يَزِيدُ عَلَى دَوْرِ حَفَّارِ الْقُبُورِ لِلْغُزَاةِ وَالْمُحْتَلِّينَ! وَلَقَدْ رَفَعَ بَنُو مِصْرَ رُءُوسَهُمْ إِجْلالاً لِلْبَطَلِ وَزَهْوًا بِوَطَنِهِمُ الْحُرِّ..